



وعرفنا هدايته وإرشاده، أثر في قلوبنا
فـ ﴿أمانه﴾.

ثم ذكروا ما يرغب المؤمن فقالوا:
﴿فمن يؤمن بربه﴾ إيماناً صادقاً ﴿فلا
يخاف بخصاً ولا رهقاً﴾ أي: لا نقصاً
ولا طغياناً ولا أذى يلحقه^(١)، وإذا
سلم من الشر حصل له الخير،
فالإيمان سبب داع إلى حصول كل خير
وانتفاء كل شر.

﴿وأنامننا المسلمون ومنا
القاسطون﴾ أي: الجاثرون، العادلون
عن الصراط المستقيم.

﴿فمن أسلم فأولئك هم ورثوا﴾

أي: أصابوا طريق الرشد، الموصل
لهم إلى الجنة ونعيمها، ﴿وأما
القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾ وذلك
جزاء على أعمالهم، لا ظلم من الله
لهم، فإنهم ﴿لو استقاموا على
الطريقة﴾ المثل ﴿لأسقيناهم ماء غدقاً﴾
أي: هنيئاً مريئاً، ولم يمنعه ذلك إلا
ظلمهم وعدوانهم. ﴿لنفتنهم فيه﴾
أي: لنختبرهم فيه ونمتحنهم، ليظهر
الصادق من الكاذب.

﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه
عذاباً صعداً﴾ أي: من أعرض عن
ذكر الله، الذي هو كتابه، فلم يتبعه
ويتقده، بل غفل عنه ولهي، يسلكه
عذاباً صعداً أي: شديداً بليغاً.

﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله
أحداً﴾ أي: لا دعاء عبادة، ولا دعاء
مسألة، فإن المساجد التي هي أعظم
محال العبادة، مبنية على الإخلاص لله،
والخضوع لعظمته، والاستكانة لعزته،
﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه﴾ أي:
يسأله ويتعبده ويقراً القرآن كاد الجن
من تكاثروا عليه أن يكونوا عليه لبداء
أي: متلبدين متراكمين، حرصاً على
سماع ما جاء به من الهدى.

﴿قل﴾ لهم يا أيها الرسول، مبيئاً
حقيقة ما تدعو إليه:

﴿إنما أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾
أي: أوحده وحده لا شريك له،
وأخلع ما دونه من الأنداد والأوثان،
وكل ما يتخذة المشركون من دونه.

﴿قل إنني لأملى لكم ضراً
ولا رشداً﴾ فإني عبد ليس لي من الأمر
ولا من التصرف شيء.

﴿٢٢﴾ ﴿قل إنني لن يميرني من الله
أحد﴾ أي: لا أحد أستجير به ينقذني
من عذاب الله، وإذا كان الرسول
الذي هو أكمل الخلق، لا يملك ضراً
ولا رشداً، ولا يمنع نفسه من الله
[شيئاً] إن أراد به سوء، فغيره من الخلق
من باب أولى وأحرى، ﴿ولن أجد من
دونه ملتحداً﴾ أي: ملجأً ومنتصراً
﴿إلا بلاغاً من الله ورسالاته﴾ أي:
ليس لي مزية على الناس، إلا أن الله
خصني بإبلاغ رسالاته ودعوة الخلق
إلى الله، وبهذا^(٢) تقوم الحججة على
الناس.

﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار
جهنم خالدين فيها أبداً﴾ وهذا المراد به
المعصية الكفرية، كما قيدتها النصوص
الأخر المحكمة.

وأما مجرد المعصية، فإنه لا يوجب
الخلود في النار، كما دلت على ذلك
آيات القرآن، والأحاديث عن
النبي ﷺ، وأجمع عليه سلف الأمة
وأئمة هذه الأمة.

﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون﴾ أي:
شاهدوه عياناً، وجزموا أنه واقع بهم،
﴿فسيعلمون﴾ في ذلك الوقت حقيقة
المعرفة ﴿من أضعف ناصراً وأقل
عدداً﴾ حين لا ينصرهم غيرهم ولا
أنفسهم ينتصرون، وإذ يحشرون فرادى
كما خلقوا أول مرة، ﴿قل﴾ لهم إن
سألوك [فقالوا] «متى هذا الوعد؟»:
﴿إن أدري أقرب ما توعدون أم يجعل
له ربي أمداً﴾ أي: غاية طويلة، فعلم
ذلك عند الله، ﴿عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه أحدًا﴾ من الخلق، بل انفرد
بعلم الضمائر والأسرار والغيب، ﴿إلا

رصدًا﴾ أي: مرصداً له، معداً لإتلافه
وإحراقه أي: وهذا له شأن عظيم، ونبأ
جسيم، وجزموا أن الله تعالى أراد أن
يحدث في الأرض حادثاً كبيراً، من
خير أو شر، فلهذا قالوا: ﴿وأنا لا
ندري أشد أريد بمن في الأرض أم أراد
بهم ربهم رشداً﴾ أي: لا بد من هذا أو
هذا، لأنهم رأوا الأمر تغير عليهم تغيراً
أنكروه، فمرفوا بنظنتهم، أن هذا
الأمر يريد الله، ويجدته في الأرض،
وفي هذا بيان لأدبهم، إذ أضافوا الخير
إلى الله تعالى، والشر حذفوا فاعله تأدياً
مع الله.

﴿وأنامننا الصالحون ومنا دون
ذلك﴾ أي: فساق وفجار وكفار،
﴿كنا طرائق قذا﴾ أي: فرقاً متنوعة،
وأهواء متفرقة، كل حزب بما لديهم
فرحون.

﴿وأننا ظننا أن لن نعجز الله في
الأرض ولن نعجزه هرباً﴾ أي: وأنا في
وقتنا الآن تبين لنا كمال قدرة الله
وكمال عجزنا، وأن نواصينا بيد الله،
فلن نعجزه في الأرض ولن نعجزه إن
هربنا وسعينا بأسباب الفرار والخروج
عن قدرته، لا ملجأ منه إلا إليه،
﴿وأننا لما سمعنا الهدى﴾ وهو القرآن
الكريم، الهادي إلى الصراط المستقيم،

(١) في ب: فقالوا: ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخصاً ولا رهقاً﴾ أي: من آمن به إيماناً صادقاً فلا عليه نقص ولا أذى يلحقه.

(٢) في ب: ودعوة خلقه إليه وبذلك.



له القلوب، وتفرح به أولو الأبواب، وتظهر به شعائر الإسلام، وينقمع به أهل الأوثان والأصنام.

ومنها: شدة حرص الجن لاستماع الرسول ﷺ، وتراكمهم عليه.

ومنها: أن هذه السورة، قد اشتملت على الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وبينت حالة الخلق، وأن كل أحد منهم لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأن الرسول محمداً ﷺ، إذا كان لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً، بل ولا يملك لنفسه، علم أن الخلق كلهم كذلك، فمن الخطأ والغلط^(٣) اتخاذ من هذا وصفه إلهاً [آخر] مع الله.

من ارتضى من رسول ﷺ أي: فإنه يجيره بما اقتضت حكمته أن يجيره به، وذلك لأن الرسل ليسوا كغيرهم، فإن الله أيدهم بتأييد ما أيده أحداً من الخلق، وحفظ ما أوحاه إليهم حتى يبلغوه على حقيقته، من غير أن تتخبطهم الشياطين، ولا^(١) يزيدوا فيه أو ينقصوا، ولهذا قال: **﴿فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾** أي: يحفظونه بأمر الله؛ **﴿ليعلم﴾** بذلك **﴿أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾** بما جعله لهم من الأسباب، **﴿وأحاط بما لديهم﴾** أي: بما عندهم، وما أسروه وأعلنوه، **﴿وأحصى كل شيء عدداً﴾**.

وفي هذه السورة فوائد كثيرة:

منها: وجود الجن، وأنهم مكلفون مأمورون مكلفون منهيون، مجازون بأعمالهم، كما هو صريح في هذه السورة.

ومنها: أن رسول الله ﷺ رسول إلى الجن، كما هو رسول إلى الإنس^(٢)، فإن الله صرف نفي الجن ليستمعوا ما يوحى إليه ويبلغوا قومهم.

ومنها: ذكاء الجن ومعرفتهم بالحق، وأن الذي ساقهم إلى الإيمان هو ما تحققوه من هداية القرآن، وحسن أدبهم في خطابهم.

ومنها: اعتناء الله برسوئه، وحفظه لما جاء به، فحين ابتدأت بشائر نبوته، والسماء محروسة بالنجوم، والشياطين قد هربت عن أماكنها، وأزعجت عن مراصدها، وأن الله رحم به الأرض وأهلها رحمة ما يقدر لها قدر، وأراد بهم ربهم رشداً، فأراد أن يظهر من دينه وشرعه ومعرفته في الأرض، ما تتبجح

ومنها: أن علوم الغيب قد انفرد الله بعلمها، فلا يعلمها أحد من الخلق، إلا من ارتضاه الله وخصه^(٤) بعلم شيء منها.

تم تفسير سورة قل أوحى إلي،
والله الحمد^(٥)

**تفسير سورة المزمل
[وهي] مكية**

﴿١١ - ١﴾ **﴿بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً * إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً * إن ناشئة الليل هي أشد وطناً وأقوم تيلاً * إن لك في النهار سباً طويلاً * واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً * رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً * واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرأً جميلاً * وذوقني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً﴾**
المزمل: المتغطي بثيابه كالمدثر، وهذا

الوصف حصل من رسول الله ﷺ حين أكرمه الله برسالته، وابتدأه بإنزال [وحيه بإرسال] جبريل إليه، فرأى أمراً لم ير مثله، ولا يقدر على الثبات له إلا المرسلون، فاعتراه في ابتداء ذلك^(١) انزعاج حين رأى جبريل عليه السلام، فأتى إلى أهله، فقال: «زملوني زملوني» وهو ترعد فرائضه، ثم جاءه جبريل، فقال: «اقرأ»، فقال: «ما أنا بقارئ»، فغظه حتى بلغ منه الجهد، وهو يعالجه على القراءة، فقرأ ﷺ، ثملقى الله عليه الثبات، وتاب عليه الوحي، حتى بلغ مبلغاً ما بلغه أحد من المرسلين.

فسيحان الله، ما أعظم التفاوت بين ابتداء نبوته ونهايتها، ولهذا خاطبه الله بهذا الوصف الذي وجد منه في أول أمره.

فأمره هنا بالعبادات المتعلقة به، ثم أمره بالصبر على أذية أعدائه^(٢)، ثم أمره بالصنع بأمره، وإعلان دعوتهم إلى الله، فأمره هنا بأشرف العبادات، وهي الصلاة، وسأكد الأوقات

(١) في ب: من غير أن تقر به الشياطين فلا.

(٢) في ب: مبعوث إلى الجن كما هو مبعوث إلى الإنس.

(٣) في ب: من الخطأ والنظم.

(٤) في ب: واختصه.

(٥) في ب: تم تفسيرها والحمد لله رب العالمين.

(٦) في ب: فاعتراه عند ذلك.

(٧) في ب: على أذية قومه.